الرجل للمرأة الشريرة بل الاولى اعتبار الزواج شركة اذا ربحت دامت واذا خسرت انحلت وهو ما تقودنا الطبيعة اليه قوداً اذ نرى الطلاق جاريا على اعظم حالاته من حيث نفور الازواج من الازواج مع معيشتهم معاً ولكنه غير جار من حيث الشريعة والرضي الرسمي وهو ما يعد شراً من الطلاق العلني الثابت دون ريب

كان اعمى

(فابصر)

وجدنا في مجلة سركيس الغراء اقتراحاً منها على الادباء لكتابة فصل عن رجل كان اعمى فابصر وقد نبه مجلتنا بعض الادباء الى وضع شيء من ذلك فيها فنشرت هذا الفصل مرسلاً على قدر ما يمثله الذهن من هذه الحال الدقيقة وهو

ولدته امه اعمى ولكن كأنه استشعر بالعمى فكان بكاؤه بكاءين بكاء لويل العمى وبكاء لمباشرة الدنيا . انه لم يشعر بالعمى فقد خرج من الظلمة الضيقة الى الظلمة الواسعة . لم يبكِ والداه لعماه الاول لان الطفل يولد اعمى الى حين ولكن لما انقضت المدة وتبين عماه اوشكت عيونهما ان تغدو كعينيه من فرط البكاء . وتطاول عليهما وعليه الامد فسكن جزعهما عليه واما هو فما اعوزه سكون من جزع لانه لم يفارق شيئاً ليأسى له بل قد اكتنفته الظلمة منذ كون حتى لو فارقته لجزع . نما بين اترابه فكانوا يصفون له

حسن النور وجمال المنظورات فما اثروا به شيئاً لان بصيرته كانت قاصرة لا تبين له كنه النظر . كبر شيئاً فارسلوه الى المدرسة فتعلم وتهذب وكان يبصر المنظورات بقلبه حين يلامسها . تطلع عليه الشمس فيعلم انها نار ويدري من اين جاء الحر واما منظر الشمس وكيف يكون شعاعها وشروقها وتواريها في الافق فلم يكن يدري منه شيئاً فكان يأسى ويحزن ولكن ائتلافه بالعمى كان يخفف عليه وقع المصيبة . ذهب الى الروض وقد علم ما هو الزهر والثمر والشجر اذ لمسها كثيراً وقرأ عنها باللمس كثيراً ولكنه حين جلس الى الغدير لم يسمع الا خرير مياهه واما لون رشاشه وكيفية تحدره فما رأى منها شيئاً . ضاع حوله اريج الزهر فلمسه وامسكه ثم شمه ولذّ به واما حمرة الورد واصفرار البهار فما رأى منها شيئاً ولا رأى لتضاعف اوراقها اثراً . شدت فوقه الاطيار فطرب لاصواتها وترجيعها واما الوانها الجميلة فما رآها ولا ابصر شيئاً من طوق الحمامة البديع وقد فاته ان يرى تاج الهدهد وذيل الطاووس . انه سمع بالرياحين يكللها الندى بالتيجان وترصعها الشمس بالشعاع ولكنه ما رأى من ذلك شيئاً ولا استطاع ان يتمثل منه شيئاً . ورد الربيع الضاحك فبسمت لوروده الناس وابتهجت لقدومه الاطيار واما هو فما رأى الربى كيف تتدبج ولا ابصر القمح وهو مثل كتيبة خضراء وشقائق النعمان فيها جراح . كان القمر يمر عليه في ذلك الفضاء الواسع فكان يدري بسيره وحجمه وبعده عن الارض وساعات محاقه وابداره واما منظره الرائع وهو يجتاز عرض السماء فما ابصره ولا استطاع تصويره . تألقت فوقه الكواكب في الدجى القاتم وهي كالدنانير منثورة على الديباج الازرق فتغزل بها الناس لديه واما هو فما شاركهم بشيء .

انكسفت الشمس ثم انخسف القمر ثم سقطت النيازك فاضاء لها الافق المظلم ورفع اليها الناس ابصارهم بين الوجل والابتهاج واما هو فاطرق رأسه لا يعنيه من ذلك شيء ولكنه كان لكل ما فاته من هذا على اسف وحزن وتلهف . لعلعت فوق رأسه الرعود فسمعها جداً واما لمعان البرق فما استطاع على فرط تألقه ان يخطف من بصره شيئاً بل قد جعل البرق له من الرائين شركاء في العمى بضع ثوان . عقد الجو ظلمات بعضها فوق بعض من الغيوم فما رآها كيف تنعقد وتنتشر وقد قالوا له انها سوداء فما استطاع ان يتصور السواد اذ لم ير البياض . تحدّر حوله الغمام وتحولت خيوطه الفضية الى درر من البرَد فشعر ولكن ما رأى ذاك الجمال . التفعت حوله الجبال بمطارف الثلج كأنها ريش النعام على خوذة جبار ولكنه ما ابصر جمال ذلك ولا ادرك للجمال علواً وشمماً . اضطرب لديه البحر ايما اضطراب وعلت امواجه كالجبال ولقد ارغى وازبد ولكنه ما رأى كيف تتعمم الزرقة بالبياض ولا ابصر ذلك الهول . جالسته الحسناء وحادثته بكلام الشفيق الرحيم من اجل عماه فما افتتن بجمالها بل لقد ردّت سيوف عينيه المغمدة سيوف عيونها المسلولة للفتك ولم يكن لها من سيف سوى ذاك الرقيق من اللفظ فهام بها واحبها وكان يرجو لقاءها كل حين . كانت تكلمه بلطف مطبوع ومصنوع اشناقا عليه فيظن ذلك غراماً ثم يعرض عليها حبه فتقابله برضى المتوجع

وكان يراها بعين الغرام وكانت تراه بعين الاخاء

ثم كانت تفارقه وهي تقول الاذن تعشق قبل العين احيانا

* * *

في ساعة عفو ورحمة من عند الله انفتحت عينا ذلك الاعمى فجاءة فلما ابصرتا النور ارتدتا الى الغمض في الحال لان البياض اوشك ان يردهما الى العمى . فتحهما ثانية فارتدتا كأن الوفاء قد غلبهما فعز عليهما فراق ذلك الكلام الطويل الضجة . نظر الى من حوله وهو كانه في حلم وهم في احلام رأى النور مختلف الالوان فشده بين الابتهاج والخوف . كان يغمض عينيه ويفتحهما ليرى هل ذلك الى حين ام هو كما في الناس الى الابد . تحقق له البرء من داء الظلمة فجعل يتبصر في الاشياء ليرى هل كانت على وفق تمثله ام لا . مشى بين الناس وحادثهم فوجد انه زاد فيه طبع الخجل فصار يستحي ويستكين ويتضايق شيئا من ذلك . عبر الشوارع فما اهتم بامره احد ولا فتح له عابر مجالا حين الضيق مع ان الصفوف كانت تتفرج لمروره اذ كانت تفعل عصاه التي يدب عليها برفق ما لا تفعله عصا الشرطي بخشونة . تضايق من معاملة الناس بالجد فلما شتمهم شتموه ولما ضربهم ضربوه فساءه هذا التغير الشديد لان خطاياه من قبل كانت مغفورة ولم يكن عليه قط من حرج . سر جداً من محاسن ما صار يرى ولكن ذلك يتنغص عليه لانه صار يحاسب على نظراته ويؤخذ بكلماته . نظر المرأة التي احبها فخجل جداً حين رآها لانه كان وقحا سليطا حين كان يكلمها وهو اعمى . حسن لديه جمالها ولكن كلامها لم يحسن لان هزلها اصبح جداً وقد صار ما كان من رفقها ثقلا وتشديداً . ضايقته تكاليف الحياة بعد ان كان خارجاً عن اكثرها فتضايق . كان يحسن اليه فصار يطلب منه الاحسان . كانت الرحمة عليه فاصبحت منه . كان فقيراً في حد الغني بشفاعة عماه فلما افناه البصر رأى نفسه غنياً في حكم الفقير . عجب الناس جداً لبصره بعد

العمى ولكن عجبه مما رأى منهم كان اشد . كانوا يذكرون له ابا العلاء المعري فيتعزى به فلما ابصر صار يحسده على عماه ويتمنى لو رد ثانيه الى اول . ثم برح به تضييق الدنيا وتكاليفها واحزانها فبكى حتى كاد يعمى واصبح بعد ذلك لا يتمثل الا بقول زميله السابق المعري

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدانكم يهونُ
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

﴿ الصحافة الاوروبية ﴾

تعتني الصحافة الاوروبية عناية كبرى باعمال الحكومات وسياسة الملوك وسياحاتهم جريا مع اهتمام الجمهور بمثل هذه الشؤون ولكن الملوك والحكومات تقابلون هذا المثل بالمثل حتى تبدو الصحافة هناك وهي في منتهى العز والجلالة من حيث القدر وفي منتهى النفع من حيث الاسراع في الخبر وكثر الانفاق عليه

ولقد تقرر في هذه المدة ان يزور ولي عهد انكلترا وامرأته بلاد الهند مارين بهذه البلاد فتقرر ايضاً ان يكون للصحافة زيارة معهما حتى يبدو رونقها ويتم العلم في بلاد الانكليز بكل ما جرى من اجلها وهو عمل قد يكون اعظم من الزيارة نفسها لخطارته وعظم نفقاته مع انه في القديم كان يجري على نفقة الحكومات فيكون المراسلون في معية الملوك ومن ضمن حواشيهم ولعل هذا قد تغير الان بسبب كثرة الصحف وعدم احتمال